الرَّسولُ الشَّفيعُ

شـــهِدَ اللهُ مـــا لِطَـــهَ مثيـــلُ فهـــو بـــالحقِّ للأنـــامِ الرّســـولُ
كُلُّ ما في الوجـودِ سـوفَ يـزولُ ومَقـامُ الرَّسـولِ لـيسَ يـزولُ
شـــاءهُ اللهُ للأنـــامِ رســـولًا قبـلَ أنْ كـانَ مـوطِنٌ، وقبيـلُ
رافِـعُ البيـتِ جـدُّهُ يـا لآلٍ شرفُ الـوحيِ بيـنَهمْ موصـولُ
عـاشَ يُـتمَ الحيـاةِ وهْـوَ جنـينٌ وتتـالى عليـهِ يـتْمٌ ثقيـلُ
ألـفُ تفدِيـهِ مهجـتي مـن يتـيمٍ أينمـا حـلَّ حظُّـهُ التّبجيـلُ
هـمُّ كـلِّ الأنـامِ بـادٍ عليـهِ يـا لطفـلٍ عـن عـالَمٍ مـسؤولُ!
شـــاءهُ اللهُ كـــاملًا بخـــصالٍ يـستحي مـن جلالِهـا التّفـصيلُ
ذرَّةٌ مـن ثـرىً تعطَّـرَ منـهُ طـابَ منهـا لمقلـتي التّكحيـلُ
لـمْ يَـضِرْ يتمُـهُ فـشَبَّ عظيمًـا وحكيمًـا مُقـدَّرٌ مـا يقـولُ
قارئًـا في صـحائفِ الكـونِ علمًـا فيـهِ للهِ حكمـةٌ، ووصـولُ
كُـلُّ مـا في الوجـودِ آيُ حكـيمٍ كيفَ عنها العُقولُ، كيفَ تَحولُ!
أعلـمَ النَّـاسِ قـد غـدا بفـؤادٍ فـاضَ منـهُ الخـشوعُ، والتّبتيـلُ
أينمـا سـارَ فالبـشائرُ تـترى وتحـومُ الغيـومُ حيـثُ يُقيـلُ
وإذا سـارَ والـصحارى لهيـبٌ لطَّـفَ الحـرَّ ظِـلُّ غـيمٍ ظليـلُ
وإذا حـلَّ فـالنّوادي ابتهـاجٌ ورجالاتُهـا إليـهِ تميـلُ

تــرتجي منــهُ نظــرةً وابتــسامًا ... بهمــا يــبرأُ الــسَّقيمُ العليــلُ
وصـفُهُ جـاءَ في رسـالةِ مـوسى ... وأتانـــا بمدحِـــهِ الإنجيـــلُ
إنَّـــهُ الــصَّادِقُ الأمــينُ بــديلٌ ... لــسواهُ، ومــا سِـــواهُ بــديلُ
كمْ على حُكْمِهِ تلاقتْ خصُومٌ ... حُكمُـهُ عِنـدَهُمْ هـو المقبـولُ
همُّــهُ أن يَـرى الخلائـقَ تحيـا ... في نعـــيمٍ، وأن يَعِـــزَّ الـــذَّليلُ
فلكـــمْ أرهَـــقَ البرِيَّـــةَ ظلـــمٌ ... وأضـلَّتْ بمـا تُعـاني العقـولُ!
فلقـــدْ حـــانَ أن يـــجيءَ نـــبيٌّ ... وحـدَهُ الـدَّهرَ بالـصّلاحِ كفيـلُ
فـإذا رحمـــةُ المهيمِـــنِ تهـــمي ... في "حـــراءٍ" إذ جـاءهُ "جبريـلُ"
يُرجِـعُ القـولَ: يـا محمَّـدُ "اِقـرأْ" ... لا يكُـنْ منـكَ بعـدَها تزميـلُ
إنَّـــكَ اليـــومَ مرســـلٌ بكتـــابٍ ... بمثانيـــهِ يُخـــتمُ التّنـــزيلُ
"قُـمْ فأنـذرْ" وربَّـكَ اللهَ كَـبِّرْ ... أنـتَ للعـالمينَ منـهُ الرَّسـولُ
وكمـــا شـــاءهُ الإلـــهُ حكيمًـــا ... قـامَ يـدعو، والحِلـمُ منـهُ الـسَّبيلُ
مرشـــدًا قومَـــهُ إلى اللهِ ربًّـــا ... كـــلُّ آلائـــهِ عليـــهِ دليـــلُ
عَجِبَ القومُ كيفَ يغدو رسولًا ... عائـلٌ كـلُّ مـا لديـهِ قليـلُ
وتَناســـوْهُ صـــادقًا وأمينًـــا ... زانَـــهُ أصـلُهُ العريـقُ النّبيـلُ
وعـلى شتمِـهِ اللئـامُ تَنَـادَوا ... دونَ إيـذائهم يهـونُ الـصّليلُ
كلَّمـا اشـتدَّ مـن أذاهُـمْ مزيـدٌ ... كـانَ كـالطَّودِ لـمْ يَـضِرْهُ العويـلُ
قابـلَ الحقـدَ والعـداءَ بحِلْـمٍ ... لا يُجـارى، فالـصَّبرُ منـهُ جميـلُ

ولــهُ اللهُ قــدْ أعــدَّ صِــحابًا منهُـمُ العبـدُ والفـتى، والكهـولُ
كُلُّهــم كــان للعقيــدةِ حِــصنًا مثـلُ إخلاصـهم هـو المُستحيلُ
فهمــوا الــدّينَ عــزَّةً وجهــادًا وسـوى الـدّينِ عنـدهُمْ تـضليلُ
نـشروا الـدِّينَ رحمـةً وصـلاحًا فـإذا الكـونُ بالهـدى مـشمولُ
كـلُّ روحٍ بالـدّينِ نالـتْ مُناهـا فبِــهِ كــلُّ حقِّهــا مكفــولُ
هكـذا الـدِّينُ أن نعـيشَ هُـداةً عـن هُـدى اللهِ لحظـةً لا نميـلُ

*****

أيُّهــا الــشَّافِعُ المُــشفَّعُ فــردًا حينمـا الخلـقُ كلُّهـم مـذهولُ
قـدْ أبَـتْ قبلَـكَ الـشَّفاعةَ رُسْـلٌ دونهـا الكـلُّ مـشفقٌ، وخجـولُ
"ولهـا أنـتَ" قلـتَ قولـةَ حـقٍّ سـامعٌ منـكَ ربُّنـا مـا تقـولُ
ساجدًا تحـتَ عـرشِ ربٍّ رحـيمٍ هــو للعفــوِ وحــدَهُ المــأمولُ
ســائلًا ربَّــكَ القبــولَ فيــأتي للرَّسـولِ الـشَّفيعِ منـه القبـولُ
عنــدها تُفــتحُ الجنــانُ وحُبًّــا بِــكَ يعلــو لحورِهــا التّهليــلُ
أنــتَ مــن شـاقها إليـكَ حنـينٌ قبلَـكَ اليـومَ لـن يكـونَ دُخـولُ
أنتَ يا مَن لكَ الوسيلَـةُ حُقَّتْ بكَ طابتْ، وطابَ منكَ النُّزولُ

*****

هكـذا كنـتَ يـا حبيـبي رسـولًا وشـفيعًا مـن حقِّـهِ التَّفـضيلُ
لـن يـرى مثلَـكَ الزَّمـانُ رحيمًـا مثلَـكَ الـدَّهرَ لـنْ يكـونَ مثيـلُ

*****